الهدف الليلة ...

كيف تنظم الغارة الجوية

ملخص من كتاب « قيادة القاذفات » (١)

١ — السيطرة على الاعمال الحربية وتوجيهها

لو عمدنا إلى وصف كل غارة شنتها القاذفات البريطانية على ألمانيا ، لتحوّل هذا الفصل كتفاً مُملاً بالغارات ومواعيدها . فأعظم الغارات حظاً من النجاح ، هي الغارات التي لا تحدث فيها حوادث تسترعي الأنظار . وخير رجال الطائرات هم الذين يطيرون بقاذفتهم المتشاكة في خفية عن الأبصار ، الى الهدف فيقذفونه بقنابلها ، ثم يعودون الى قاعدتهم في سكون الليل . وجميع غارات القذف متشابهة في أصولها ، سواء كانت موجهة الى كولون أو هانوفر أو بريمن أو برلين أو أي مركز آخر من مراكز الصناعة الألمانية والانتاج الحربيّ . والغرض هو إلقاء القنابل على الهدف الأول ، واذا تعذّر ذلك فالقاء القنابل على الهدف الثاني الذي يُعيَّن لهم . وفي جميع هذه الحالات ، تحمل الطائرات القنابل ، ويحركها رجال خاضعون لأوامر صادرة اليهم وفقاً لنظام معين . وجميع الرجال يسيرون على أسلوب واحد في تنفيذ الأوامر الصادرة اليهم ، وهو أسلوب تعلموه وتدرّبوا عليه خلال أشهر من التمرين . وجميعهم يواجهون العقبات نفسها ، من ريح وظلام وتقلّب الجوّ ، ونجاحهم أو فشلهم يقاسان بمقاييس واحدة .

وقيادة القاذفات في سلاح الطيران البريطاني مقسومة « جماعات » . منها جماعات الخط الأول ومنها جماعات التدريب على الأعمال الحربية . وهي متصلة بخطوط مباشرة ، بالقيادة — قيادة القاذفات — حيث يقيم القائد الأعلى وهيئة أركان حربه . ومن الجماعات التي تتولى الأعمال الحربية ما يوجه الى الأعداء ليلاً وبعضها يوجّه اليهم نهاراً . ولكن في أشهر الحرب الأولى ، قبل الشروع في الغارات [illegible] ، كانت جميع الجماعات تخرج في أثناء النهار

(١) كتاب رسمي أصدرته وزارة الاخبار والطيران في بريطانيا قبل سنة وبعض سنة

وكل جماعة مقسمة « محطات » ، وكل محطة تشمل مطاراً أو أكثر من مطار . أما أصناف الطائرات المستعملة ، فتختلف باختلاف الجماعات

والنجاح في جميع غارات القذف مرتبط بالتعاون الوثيق بين الضباط الذين يتولون قيادة الجماعات والقائد الأعلى لقيادة القاذفات . وهؤلاء الرجال على اتصال دائم . ومع أن القرارات الأخيرة من حق القائد الأعلى ، بحكم الطبع ، إلاّ أن القواد الذين يلونه مباشرة لهم مدى كبير في كيفية تنفيذ الأوامر . وقواد الجماعات يمنون كلّ يوم بتحقيق مبلغ قوة جماعاتهم وإنباء القيادة العليا بها لكي يبقى القائد العام مطلعاً اطلاعاً دقيقاً ، على عدد ما في قيادته كلّها من طائرات وعدد كل طراز منها ، في وقت ما

هذا الاتصال الوثيق بين أصحاب السلطة في قيادة القاذفات ، يهيّئ تنفيذ خطة مرنة ، وضعت على قواعد تجعل اجراء كل تغيير فيها مستطاعاً في سرعة وبغير أن ينشأ عنه اضطراب ما . وقد أحكم وضع هذه الخطة إحكاماً ، وجعلت قابلة للملاءمة للأحوال ، بحيث لا يحتاج القائد ، إلاّ الى الضغط على زرّ ، لكي ينطلق الدفع الذي سدّد الى العدو . أما كيف يضغط هذا الزرّ أي كيف يُصدر أوامره لشنّ غارة على ألمانيا فسيجيء ذكره بعد قليل

إن عمل قسم « المخابرات » في قيادة القاذفات ذو شأن عظيم ، لأنه يتيح للقائد العام حقائق ومعلومات يحتاج اليها ، عند ما يضع برنامج الغارات . وضباط هذا القسم عليهم أن يستخرجوا ويحفظوا حقائق عن كل موضوع متصل بالاعداء ، ويتعيّن عليهم أن يكونوا أبداً مستعدين لعرض هذه الحقائق حالاً أو بعد فترة يسيرة ، على القائد العام . وهم على اتصال بوزارة الطيران . يطلعون على توجيهاتها ، ويعرفون سياستها العامة في استعمال القاذفات ، في فترة ما . ليستطيعون أن يستقوا لون الحقائق التي تطلب منهم قبل أن تطلب . فاذا كانت مصانع العدو البحرية ، هي هدف الغارة التالية ، فانهم يستعدون لذلك بجمع كل ما يستطيعون الحصول عليه من معلومات عن هذه المصانع في شتّى النواحي . واذا كانت توجيهات الوزارة تشمل مصانع النفط أو محطات توليد الطاقة أو مصانع الطائرات ، فانهم يعدّون المعلومات الناتجة عن هذه الأهداف

وكل هدف من هذه الأهداف التي في كشف الوزارة له ملفّ خاص يحتوي على خارطة وصور ضوئية ورسوم وحقائق عن مدى الانتاج ، والأعلام التي يستطيع الطيارون الاهتداء بها للوصول الى هدفهم ، ومذكرات عن أعمال الدفاع وقوتها أو ضعفها . ولكلّ ملفّ نسختان تحفظان في حجرة الاعمال الخاصة ، وفي مقر القيادة ، وهناك علاوة على ذلك ، فهرس تام سجلّت فيه أسماء الأماكن وطبيعة الأهداف في كل بلد أو موقع في ألمانيا .

وقسم « المخابرات » على اتصال دائم بقسم « الخطط » في قيادة القاذفات ووزارة الطيران ،

وبالقيادات الأخرى في سلاح الطيران الملكي ؛ وبوزارة البحرية عن طريق ضابط الاتصال البحري ، وبمصلحة « المخابرات » في وزارة الطيران

٢ — في حجرة الأعمال الحربية

ولندخل اولاً مع القائد العام حجرة الأعمال الحربية في مقر قيادة القاذفات الساعة التاسعة صباحاً. هنا في مكان تحميه طبقات كثيفة من الاسمنت المسلح تحت أكمة من التراب المعشوشب ، يصدر الأمر بالغارة المقبلة ، وسواء أصحواً كان الجو في الخارج أم ماطراً ، فداخل هذه الحجرة مضاء بضوء لطيف غير منقاب كأنه ضوء يوم من أيام الربيع وهو منبعث من ماكسات مركبة في أعلى حجرة مستطيلة مالية حسنة التناسب . وهي مجوزة بأجهزة تضبط الهواء. وأرضها مغطاة بطبق من المطاط. وليس لها إلا باب واحد. هذا الباب والسلم المفضي اليه يحرسهما حرس لا يسمح لأحد ، داخلاً كان أو خارجاً بالدخول أو الخروج بغير ترخيص خاص

على الجدار الرئيسي أمام الباب ثلاثة ألواح سود ارتفاع كل منها نحو ثلاثين قدماً وعرضه عشر اقدام . وعلى هذه الألواح « بيان القتال » وما على القائد العام إلا القاء نظرة عليها ليعلم ماقوة كل جماعة ، وما مكان كل سرب من أسرابها، وما مجموع الطائرات المتاحة للعمل

خص اللوح الايمن بالأعمال الحربية الجارية . هنا بيان بأسماء الجماعات التي تقوم بعمل ما، والاهداف التي اختيرت للاغارة عليها في الليلة السابقة . وتكتب الحقائق على هذا اللوح بنوعين من الطباشير . أحدهما أصفر يبين ما تقرر عمله. والثاني أحمر يبين ما أنجز من الاعمال. أما الحقائق المدوّنة على اللوحين فكتوبة بمداد أبقى من الطباشير . وهي تعدّل مرّة كلّ أربع وعشرين ساعة لكي تبقى بجارية لسير الأعمال. ويعلو هذه الألواح — وهي تحتل جداراً كاملاً — ساعةٌ ، وتحتها تقويم يبدي التاريخ في حروف كبيرة وأرقام

اما الجدار الأيمن في هذه الحجرة المستطيلة فتغطيه خارطة كبيرة للظواهر الجوية تدل على حالة الجو . وهي تعدّل مرة كل ثماني ساعات وفقاً لحقائق الأرصاد الواصلة الى القيادة . والى جانبها لوحة تبين اوجه القمر ، طوال الشهر . ويقابل هذا على الجدار الأيسر خارطة مقياسها — لشمال اوروبا تبين الأهداف الرئيسية . ومواقعها محدّدة بدبابيس لصقت بها رقع صغيرة ملوّنة. وعلى كل رقعة كتبت « الدفرة » أي العلامة السرية الخاصة بذلك الهدف وعلى الجدار الخلفي خارطة من قبيلها تبين الاهداف الرئيسية في ايطاليا

إلى يسار الباب ، وعلى مسافة يسيرة من الجدار ، مكاتب الضابط المراقب ، والضابط التجهيزي. وأجهزة التليفون التي تصل هذه المكاتب تصل مقرّ القيادة بقيادات « الجماعات » وبوزارة الطيران

وفي الزاوية إلى اليمين مكتب يجلس اليه ضابط بحري ملحق بقيادة القاذفات . ومن هنا

أن يشير على القائد العام في جميع المسائل البحرية ، ويعرض عليه آراء الأميرالية . وهو من رتبة « كابتن » في الاسطول وله مساعدان ، أحدهما مقره على الغالب مع « الجماعة » التي تتولى العمل ضد سفن الأعداء والثاني مقره مع الجماعة التي تتولى مهمة بث الالغام . وهناك كذلك ضابط من الجيش يتمم مهمة الاتصال بين القائد العام لسلاح القاذفات والجيش البريطاني في الجزائر البريطانية

وفي وسط الحجرة إلى اليسار، يقوم مكتب القائد العام . وعلى مقربة منهُ ثلاث موائد، مركبة على محاور فيسهل تحريك الموائد لتكون عمودية الوضع أو أفقيتهُ . وعلى أولاها سُطرت المخابرات الخاصة بأعمال الليلة . ثم هناك صورة عامة لمنطقة «الرور» مركبة من صور متعددة صغيرة . وعلى المائدة الثانية خارطة كبيرة لقارة اوربا تبين الطرق إلى شتى الأهداف، وكذلك المواقع التي يحتمل أن تعترض قوتها المطاردات الألمانية القاذفات الغيرة، او الأماكن التي تحرسها هذه المطاردات بدورياتها والحقائق الموضحة على هذه الخارطة تغيَّر مرة كل أربع وعشرين ساعة وفقاً للبيانات التي تمدها وزارة الطيران وترسلها إلى القيادة . وعلى هذه المائدة كذلك عددٌ من خارطات الأهداف وهي مجسَّمة حول خارطة كبيرة تبين مواقع تلك الأهداف . أما المائدة الثالثة ، فعليها رسوم بيانية ، يستخرج منها بلمحة ، عدد الغارات التي شنَّت على طوائف معينة من الاهداف . وهناك خارطة لبرلين وصور ضوئية مكبرة لأكبر الأهداف شأناً

٣ — أهداف الليلة

يجلس القائد العام الى مكتبه ويراجع مراجعة سريعة الحالة ، كما تستخرج عناصرها من تقارير الليلة السابقة ، ومن الحقائق التي تتصل به شخصاً من كبير اركان الحرب ، وقائد « الجماعة » الذي تولى الأعمال الحربية . ان نوع الهدف الذي هو جم معروف . فقد اختارتهُ وزارة الحرب وهي التي تعيِّن الاتجاه الرئيسي في الهجوم الجوي . وتنشر وزارة الطيران توجيهات في الحين بعد الحين مبنية على قرارات وزارة الحرب . وعلى عاتق القائد العام لقيادة القاذفات ، يقع الواجب وتلقى التبعة ، في تنفيذ هذه التوجيهات . ولكن قبل ان يتمكن من تعيين الأهداف لليلة التالية عليه ان يستشير خبراء الظواهر الجوية» لأن اختياره مرتبط بحالة الجوّ ودرجة الرؤية . وهؤلاء الخبراء موظفون مدنيون في وزارة الطيران ، ويلحقون بجميع « الجماعات » و« المحطات » التابعة لقيادة القاذفات . ورئيسهم ينتظر القائد العام ، قرب خارطة الظواهر الجوية . وليس في وسع هذا الخبير دائماً أن يتنبأ بدقة تامة في الساعة التاسعة من الصباح عن حال الجو كما ينتظر ان تكون في الليل التالي ، ولكنهُ يستطيع أن يتبين

الاتجاه العام فوق منطقة ما أو أكثر. والتقدير النهائي يعمل أحياناً في الساعة الرابعة مساء، بعد اتصال يتم ظهراً بالتلفون، بين خبراء الظواهر الجوية الملحقين « بالجماعات » المختلفة

وليس بالنادر أن يعين القائد العام مناطق أخرى للاغارة عليها، غير منطقة الأهداف الرئيسية وأن يصدر امره باعداد الخطط اللازمة لمهاجمة أهداف في هذه المناطق، لأنه اذا كانت حالة الجو متقلبة، فقد يحتفظ بقراره الأخير، الى ان يتلقى البيان الأخير عن الحالة الجوية. فهو يختار في المؤتمر الذي يعقده الساعة التاسعة صباحاً، هدفاً رئيسياً وهدفاً ثانوياً، على ان لا يهاجم الثاني الا اذا جعلت الحالة الجوية مهاجمة الأول متعذرة. ولا يختار للهدفين الأول والثاني، الا مواقع تصح الاغارة عليها بنوع واحد من القنابل، لأن تغيير نوع القنابل التي تحملها القاذفة قد يفضي الى عرقلة تحميلها بالقنابل ويؤدي الى تأخير

يلقي الخبير بالظواهر الجوية، محاضرة قصيرة عن حالة الجو، وقد تستغرق المحاضرة خمس دقائق. وهو يتوخى فيها الدقة على قدر ما تسمح به مسائل الموضوع. ثم انهُ لا يقصر كلامه على حالة الجو في الطريق الذي ينتظر أن تسلكهُ الطائرات، بل يعالج كذلك حالة الجو المنتظرة فوق المطارات البريطانية عند عودة الطائرات من غارتها اليها. ويعود القائد العام الى مكتبه وقد اتخذ قراره عن المناطق التي تحتوي أهدافاً تصلح لغارات الليل المقبل. وقبل أن يعين الأهداف بالذات، قد يطلب ما عند « ضابط المخابرات » وقائد « الجماعة » المتولي الاعمال الحربية، ويؤتى اليهِ بصور ضوئية لمختلف الأهداف. ثم يتخذ قراره

وبعد ان يتخذ قراره يدور البحث على عدد القاذفات التي يجب أن تشترك في الغارة. وفي اثناء ذلك يكون « الراقب » قد بدأ يتصل « بالجماعات » ولا تنقضي دقائق حتى يكون قد عرف معرفة دقيقة عدد الطائرات المتاحة للعمل في كل جماعة، ويعرض نتيجة بحثه على القائد العام، فيقرر عدد ما في القوة المهاجمة من قاذفات ضخمة ومتوسطة. ثم أخيراً يبحث مع كبير ضباط أركان الحرب عدد الطائرات التي يمكن توجيهها الى كل هدف

بعد الفصل في هذه المسألة، يأخذ القائد العام رقعة طبعت عليها عبارة: « توزيع القائد العام الجوي للأهداف »، فيكتب على هذه الرقعة « شفرة » الأهداف التي تجب الاغارة عليها وعدد الطائرات التي تشترك فيها من كل جماعة ونسبة القنابل المحرقة الى المتفجرة في أحمال الطائرات. وهذه الرقعة هي الامر الكتابي بالغارة. فيأخذها « الراقب » ويصدر الأوامر اللازمة الى الجماعات. ثم يعود القائد العام الى مكتبه. وقد استغرق العمل ساعة، وهي مدة من حقه فيها اذا شاء أن يدع الخطط لتوجيه أيّ جزء من قوة القاذفات المتاحة لهُ ذو القوة كلها الى الهدف الذي يختاره

٤ — مقر قيادة الجماعة

فلينتقل المشهد الآن الى مقرّ قيادة الجماعة هنا على حاشية بلدة في مقاطعة ما ، يتلقى الضابط قائد الجماعة اوامره وهي ترسل اليه على خط تلفوني مباشر بالمكتاب البرقي فيعلم منها عدد ما يتعين عليه إرساله من طائراته في غارة الليلة ، وهو يقرّر عددها بحسبه من أسراب وإلى أي المحطات تسند . ويعاد هنا ، على صورة اصغر ما حدث في مقرّ القيادة العامة . فقيادة « الجماعة » ترسل الاوامر وتبين الأهداف لقواد المحطات التي تختار للاشتراك في اعمال الليلة المقبلة . ثم يجتمع خبراء الظواهر الجوية في مقر « الجماعة » وفي « المحطات » ، ويعقدون مؤتمراً يتلقون . ومقر قيادة المحطة لا يختلف الاّ في صغر نطاقه ، عنه في مقرّ قيادة الجماعة . فقائد المحطة وهو برتبة «قائد جماعة» يستدعي « قائد السرب » وضابط الأعمال الحربية ، ويعيد عليهما الاوامر التي تلقاها . وتكون المواقع التي يجب ان تسدد اليها القنابل في الاهداف مبينة جاهزة لاعمال الليل

أما قائد السرب فيواجه مشكلة واحدة رئيسية : كيف الوصول الى الهدف المطلوب من أسهل سبيل والتعرف عليه . وهذا مرتبط في المقام الأول بحالة صفاء الجو أي « درجة الرؤية » . هل الليل مظلم غائم ؟ ففي هذه الحالة قد تضطرّ الطائرات أن تصوّم مدى ساعة فوق منطقة الهدف قبل أن يستوثق رجالها من انهم وجدوا ضالتهم . ثم هناك مسألة المسافة بين القاعدة والهدف . إذ لا بدّ للطائرة من أن تحمل مقداراً من الوقود يكفيها للذهاب والاياب والمدة التي تقضيها فوق منطقة الهدف ، ثم لاحتمال عودتها الى مطار أبعد من مطارها الاصلي اذا كان هذا محجوباً بالغيم او الضباب . ومما يؤثر في مقدار ما تحمله الطائرة من الوقود ، الطريق الذي تسلكه الى اهدافها . وهذا الطريق ليس عادة أقصر طريق ، لأن القاذفات الثقيرة يجب ان تجتنب على قدر الامكان مناطق ركّزت فيها الأضواء الكشافة والمدافع المضادة . وفي الطريق الى شمال المانيا منطقة تعرف بين رجال سلاح الطيران البريطاني باسم «ممر الأضواء الكشافة» ولا بدّ من ان يحسب حساب هذا الممر كل مرة توجه فيها غارة الى أهداف في همبورج أو برمن أو غيرها

تعين « قيادة الجماعة » في أمرها الصادر الى المحطات مقدار ما تحمله الطائرات من قنابل ، ولكن لقائد المحطة ان يخفض الحمل اذا رأى وجوب ذلك لاسباب محلية . ولا بدّ من القول انه من الصعب ، ان لم يكن من المتعذر ، تغيير حمل الطائرة من القنابل ، بعد صدور الامر بتعيين الهدف وتحميل الطائرة ، اذا كانت المدة المتاحة لذلك قصيرة . لأن ذلك يقتضي تغييراً في مقدار الوقود وكمية القنابل وزنها . وهذا لا يتم في بضع دقائق ؛ واذا تأخر القرار ، فسيبقى القاء قنابل على هدف ما ، لا يوافق الهدف الذي تلقى عليه ! [illegible]